هذه ليست خطيئة

قصة بقلم جورج جبور

هذه ليست خطيئة يا ابونا ، وانا لا اقبل ان اسميها كذلك ، اني لا اطلب الصفح عنها لانها ليست خطيئة . كان الحق معك حين قلت اني اخطأت حين لعنت الدين . صحيح ، كنت مخطئة ، وقد صليت لله كثيرا كي يغفرها لي ، لا سيما اني قلتها عن قلب طيب وفي فترة غضب ، كان ابني يعذبني ، يزعجني ويزعج اهل البيت ، ولم اتمالك نفسي ، وقلت له يلعن دينك ، دينه دين المسيح ، وقد شعرت فورا بثقل هذه الكلمة ، بوقاحتها ، بتأنيب ضميري ، ادركت اني مخطئة، وبكيت ، وصليت لله كثيرا كي يغفرها لي . وكنت مخطئة حين لم آت للصلاة في يوم احد من ايام الشتاء الماضي ، اعرف ذلك وقد قلته لك ، وطلبت منك ان تصلي لاجلي ، ان يصفح لي المسيح بشفاعتك ، اعرف اني كنت مخطئة . حين فتحت عيني كان الناقوس يقرع ، كان يدعو الناس للصلاة ، الا اني تكاسلت ، اعترف بكل شعور بالندم ، وتململت في فراشي ، وتثاءبت وتمطيت ، وكان بللور الشبابيك ابيض لا شفافا ، فادركت ان الطقس بارد جدا ، ومن ثم قلت اني سانهض بعد قليل ، واحضر قراءة الانجيل في اخر الصلاة ، حين يكون الطقس اصبح دافئا بعض الشيء .. ولكن مع الاسف ، وبكل شعور بالندم يا ابونا ، لم استيقظ الا بعد ان انتهت الصلاة ، لم يكن لي عذر مقبول ، وقد شعرت آنذاك بالخجل ، والخجل الشديد ، من نفسي ومن المسيح ومن اهل الضيعة ، واصابتني رجفة حين تذكرت وصايا الكنيسة : احفظوا ايام الاحد والاعياد ، وبكل شعور بالخطيئة ركعت وتلوت « ابانا الذي في السموات » اربعين مرة ، وانا ابكي واتأوه ، ثم صمت ذلك اليوم والاثنين الذي بعده ، وقد اعترفت لك بخطئي ، ورجوتك ان يصفح المسيح عني . وكنت مخطئة حين طنشت لما قرعت ام جرجس ـ جارتنا ـ الباب علي في الصباح ، كنت اعرف انها كعادتها كل يوم تريد استعارة مصفاية الحليب ، ولكني في ذلك اليوم لم اشأ ان افتح لها ، لقد خالفت وصايا السيد : من سخرك ميلا امش معه ميلين ، ومن سألك اعطه ، ولكن ام جرجس يا ابونا امرأة غليظة ، ثقيلة الدم ،تستطيع ان تصنع مصفاية حليب بدقيقة ولكنها مثقلة ، لا تعجبها المصفاية الا من عند جيرانها ، اعرف اني كنت مخطئة في حقها ، كان يجب ان لا اتضايق منها ، ولكن اعترف لك انني ابغضها ، واني ما كنت اساير ها الا مكرهة ، كنت اداريها خوف ان اخالف وصايا المسيح : احبوا اعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، ولا اخفي عنك يا ابونا اني لم اشعر بتأنيب الضمير حين طنشت عن ندائها ، ولم افتح لها الباب لاعيرها المصفاية ، ولكني الان اشعر بذلك ، واعرف اني يجب ان احسن سلوكي معها ، وقد رجوتك ان تقنع السيد المسيح ان يصفح عني هذه المرة ايضا .

في كل تلك الخطايا كان الحق معك ، كان الحق علي ولكن قضية عدم وفاء الندر للكنيسة الحق معي فيها .. هذه ليست خطيئة يا ابونا ـ وانا لا اقبل ان اسميها كذلك ، اني لا اطلب الصفح عنها لانها ليست خطيئة . صحيح اني ندرت للكنيسة خمسا وعشرين ليرة ان شفي ابني ولم افها ، ولكن حساب الحقل يا ابونا ما طبق على حساب البيدر . حين كنت آخذ لابي خليل زوجي غداءه كل يوم السنة الماضية ، الى الحقل ، كان يقول لي ابشري يا ام خليل ، الموسم السنة طيب طيب ، الموسم السنة موسمان ، فالبدار جيد ما نخره سوس ، وما فيه حبة ضعيفة ، والارض استراحت سنة ، وهذه السنة سنة انتاجها ، وزنود ابو خليل في الفلاحة والبدار .. اما تعرفينها ؟! وكنت يا ابونا احسب لنفسي مقدار الارباح ، وكنت اقول اني سأعمر قنا اكبر للدجاج ، قنا حسب الاصول ، واننا هذه السنة سنستريح من اقتراض المال على حساب الموسم ، وقلت اذا زاد معنا مال فاني سأشتري للبيت بعض اغراض جديدة ، واشتري بارودة صيد لابني مطانيوس ، وبدلة جديدة للابن الثاني ، واظن انك يا ابونا تعرف الكمالة ، كمالة القصة ... كبر القمح وظل يكبر ، وكان الحقل ، يخزي العين ، مثل ارض مفروشة بالذهب ، كانت السنبلة مثل القامة المشوقة .. واتى نيسان ثم ايار ، ولكن القمح .... هل اعيد لك القصة ؟ كنا ناكل ونحن نصلي ، ونشرب ونحن نصلي ، ونقف ونحن نصلي ، ونقعد ونحن نصلي ، كان القمح يحتاج رية مطر واحدة ، رية واحدة يا ابونا ، طلبناها من الله كثيرا ، ولكن يظهر ان قلوبنا لم تكن صادقة ، او ان الله اراد ان يمتحننا كما امتحن ايوب ، لو نزلت رية مطر واحدة يا ابونا ، ما كنا وصلنا الى هذه الحالة ، كانت الشمس تطلع علينا وهي حادة ، حارة ، تحرق ، كان لهيبها مثل لهيب جهنم ، استغفر الله ، كانت قتالة ، قتلتنا وقتلت الزرع ، يبس القمح وهو صغير ، لم يكتمل نموه ، كان يحتاج الى رية مطر ، رية واحدة يا ابونا ، لماذا عاملنا الله هذه المعاملة ؟ انت تعرف اننا نحب الله ، نحترمه ، اننا في الاجمال نطيع اوامره ونحفظ وصاياه ، وان كلمة مثل يلعن دينك تخرج في غضب وطيش ورعونة يجب ان يحتملها ، ولا يحسب لها حسابا كبيرا . يا ابونا الضيعة فقيرة واساس حياتها القمح واظن اننا لا نستحق مثل هذه المعاملة القاسية من قبل ربنا السماوي .. الحاصل يا ابونا ، ما سلم من القمح اكثر من ربعه ، غدرنا المطر ، قتلنا وقتل الزرع ، ما زاد معنا قمح عن البدار ، بدار السنة ، الا القليل ، واما ثمنه فما كان قادرا ان ينقذنا من ضيقنا . ومن لطف الله فينا ، ان الدجاج ما اصابه مرض هذه السنة ، وحياة مريم العذراء واولادي يا ابونا لولا البقرة والارانب والدجاج ما كان عندنا خبز وزيت . نسيت ان اقول لك ان ابني الكبير مرض في الشتاء الماضي ، وقال الطبيب ان حالته خطرة ، كان وجهه اصفر مثل الليمون وقامته نحيلة مثل

العصا ، فصرفنا عليه من ادوية واكل الشيء الكثير ، ومعلومك مقدار قلق الام على ابنها ، ما اعز من الزوج الا الولد ، يا حسرتي عليه ، كان يتالم حتى يتمنى الموت ، والطبيب يقول : اتركوا هذا الدواء ، واشتروا ذاك الدواء ، ثم ينصرف منتصب القامة ، ويترك امر المريض لي انا ، للدمع والاهات والقلق ، اه يا ابونا ، ذقت من المرض الكثير ، وانا صابرة صابرة لكن قلبي في صدري ذائب ، وكنت اضلي طوال الوقت ، واظن انك تذكر كم مرة كنت قبل الفجر على باب الكنيسة احرق الشموع ، وكم مرة ساهرت نجوم الليل وانا راكعة ، وكان من نتيجة المرض اني ندرت خمسا وعشرين ليرة للكنيسة ، ان صح ابني ، وعاملني الله معاملة تليق بي ، بايماني ، وشفى لي ولدي ولم يبق الا وفاء ندر الكنيسة ، لكن المحصول يا ابونا ما ناسبنا ، يبس القمح وهو لم يكتمل نموه ، كل الضيعة عرفت الضيق ، وكثير من اهلها ذهبوا الى المدينة يشتغلون في الحمل ، والذين توفقوا وجدوا لهم عملا في معمل . الضيق كان عند كل الناس هذه السنة ، المطر غدرنا ، قتلنا وقتل الزرع وكل حياتنا يقررها الحقل والمطر والقمح . انت يا ابونا ولا تؤاخذني بهذه الكلمة لك معاش مقطوع يأتيك في الصيف والشتاء ، ان نزل مطر او ما نزل مطر وان اصاب الدجاج مرض او ما اصابه . لو كان لنا معاش مقطوع كنا من احسن الناس ، وحتى لو كان معاشا صغيرا بالكاد يكفي حاجتنا . كل انسان يستطيع ان يوفر من هنا قرشا ومن هناك قرشا اخر ، ان يجمع قرشا بعد قرش ويصبح عنده مبلغ محترم ، وحياة مريم العذراء واولادي لو كان لنا معاش مقطوع كنت وفيت النذر ، وفي الحقيقة كنت انوي ان افيه حتى بعد ان يبس الزرع كي يتأكد الله اننا اوفياء نستحق رحمته ، وكي لا يعيدها معنا في القمح مرة ثانية . لكن الحكومة اخذت من كل تلميذ في المدرسة خمسا وعشرين ليرة تماما من اجل بدلات الفتوة ، وقد كان لي خاطر ان لا ابعث ابني الى المدرسة بعد ، ان انهى علومه ، يكفيه ما وصل اليه يخزي العين في الحساب والهندسة ، ثم فكرت في منعه عن الذهاب للفتوة وكنت انوي ان اسعى في سبيل ذلك ولكن لما قلت خواطري لابو خليل زوجي قال لي « مجنونة ! كل البشر يجب ان يتدربوا على البارودة والمدفع ، القضية قضية حياة وموت ، يجب ان ندافع عن ضيعتنا وبلادنا ، احسن من ان نصبح مثل اهل فلسطين ، مجنونة ، اتركينا من النذر ، الله يعرف احوالنا ، وهو يغني الكنيسة اكثر من خمس وعشرينتك ، اتركينا من النذر وادفعي لابنك ثمن البدله .. قضية الحياة والموت قبل النذر وقبل الاكل والشرب والموسم ! » صحيح قوله يا ابونا .. أليس كذلك ؟ لقد خفت ان نصبح مثل اهل فلسطين ، فاعطيت ابني ثمن البدلة ، صحيح اني لم اف بالنذر ، ولكن الله في الحقيقة يعرف احوالنا ، ويعرف اننا في ضيق ، ويجب عليه ان يعذرنا ، لا سيما بعد ان عاملنا تلك المعاملة القاسية في قصة القمح . هذه ليست خطيئة يا ابونا ، وانا لا اقبل ان اسميها كذلك ، اني لا اطلب الصفح عنها من سيدنا المسيح ، لانها ليست خطيئة ...

دمشق — جورج جبور

نحن ندلك على أحسن الكتب

هل اشتريت نسختك من هذه الكتب لتقرأها او لتهديها لاولادك او لاخوانك كأحسن ما تكون الهدية تكون الهدية ، اذا كنت لم تشتر للآن فسارع قبل نفاذ النسخ

تاريخ الامة العربيه

اصدق رواية لتاريخ أمتك وبلادك صدر في ثلاثة اجزاء

١ ـ عصر الانبثاق

تاريخ العرب قبل الاسلام

٢ ـ عصر الانطلاق

القسم الاول سيرة الرسول العربي وظهور الاسلام

٣ ـ عصر الانطلاق

القسم الثاني سيرة الخلفاء الراشدين

ابو بكر ـ عمر ـ عثمان ـ علي

بقلم الاديب الكبير الدكتور
محمد اسعد طلس

رواية ابن حامد أو

سقوط غرناطة

صفحة رائعة من صفحات النضال العربي المشرق في الاندلس ، آخر ايام ملوك بني الاحمر

بقلم الشاعر الخالد فوزي المعلوف

مذكرات جريح

كتاب كتب كعزاء لكل المعذبين في الارض
بقلم الشاعر الكبير بولس سلامة
منشورات دار مكتبة الاندلس ـ بيروت